



مؤتمر الموسيقى العربية الثامن والعشرون من ٢-٦ نوفمبر ٢٠١٩

"الموسيقى والمجتمع في العالم العربي"



حوار حول نظم التراث

د. سلوى الشوان / كاستلو برانكو (مصر / البرتغال)^١

التراث: ظاهرة عالمية

التراث هو ظاهرة عالمية تميز الحداثة، فمشاهد وأصوات الماضي موجودة في كل مكان في المجتمعات المعاصرة. الآثار، والمواقع الطبيعية والثقافية، والأحداث، والمعارض واللوحات التذكارية، والمتاحف والمحفوظات، وأنماط الثقافة التعبيرية مثل الطقوس والموسيقى والرقص والأزياء، تستعيد الماضي - سواء أكان حقيقة أم خيال- لتلبية الإحتياجات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في الوقت الحاضر.

يركز علماء التراث على التعبير عن التراث عن طريق الذاكرة وعقب المكان. وبالنظر إلى أوروبا، تجادل عالمة الأنثروبولوجيا شارون ماكدونالد (٢٠١٣) بأن أوروبا أصبحت أرض ذكريات مهووسة باختفاء الذاكرة الجماعية والحفاظ عليها، فتجد المجتمعات الحضرية مليئة بمنتجات الذاكرة الجماعية وتميز الأماكن، التي يشار إليها بشكل متزايد بإشارات عامة إلى الماضي. على وجه الخصوص، وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية، اشتركت العديد من البلدان والمجموعات الاجتماعية في ما يشير إليه ماكدونالد باسم "مجمع الذاكرة الأوروبي"، وهو مرجع لأنماط وأشكال التذكر (نفس المرجع) مثل تلك المذكورة عاليه.

ازدهرت النهضة التراثية التي أعقبت الحرب العالمية الثانية في مجموعة واسعة من المجالات والأنواع الموسيقية في العديد من أنحاء العالم، وكانت مدفوعة من قبل أنظمة التراث الدولية والعالمية (لا سيما اليونسكو)، والمجتمعات، والمؤسسات الخاصة، والأفراد، والعديد من الجهات الفاعلة الأخرى. ربط علماء التراث النهضة التراثية بالحداثة. وكما يقول عالم الآثار وعالم التراث رودني هاريسون،

^١معهد علم موسيقى الشعوب - مركز دراسات الموسيقى والرقص جامعة نونفا دي لشبونة، يرجى عدم الاستشهاد أو النشر دون إذن المؤلف.



"الموسيقى والمجتمع في العالم العربي"

فإن التراث "منتج ومنتج للحدثة الغربية" (٢٠١٣: ٣٩). تمثل أساليب ترتيب التراث وتصنيفه وتنظيمه استراتيجيات لاستجابة الإحساس بالمخاطر وعدم اليقين، في حين تخلق إحساساً خطياً منظماً بالوقت، الذي تعتمد عليه أفكار التقدم. "المرجع نفسه). يفسر العلماء أيضاً تكثيف الإنتاج التراثي في أجزاء كثيرة من العالم منذ الحرب العالمية الثانية على أنه استجابة لشعور سائد بعدم الاستقرار يصاحب الأزمات الاقتصادية والسياسية والإنسانية والبيئية، سرعة التغير التكنولوجي والاجتماعي والبيئي، الهجرة الداخلية والهجرة الدولية، العولمة، تراجع التصنيع، وكذلك نمو تكنولوجيات الاتصال والوسائط الإلكترونية (المرجع نفسه).

على المستوى الدولي، ومنذ سبعينيات القرن الماضي، تلعب منظمة اليونسكو دوراً رئيسياً في صياغة وتعريف المفاهيم الأساسية مثل التراث والتراث الثقافى المعنوي، والترويج لفكرة التراث باعتباره مصدر قلق عالمي، وفي تعزيز حمايتها على الصعيدين الوطني والدولي.

تعريف التراث

إن التراث والمفاهيم المشابهة مثل "التقاليد" أو "الميراث" منتشرة على نطاق واسع في العديد من المجتمعات العالمية المعاصرة. ويتم استخدام هذه المفاهيم في مخاطبة الذوق العام، من قبل المنظمات الدولية والحكومات والوكالات السياحية، لتعريف المواقع والأشياء والعادات الثقافية المرتبطة بالماضي (هاريسون ٢٠١٣: ١٤). العديد من المؤسسات تتضمن تعريف "التراث الثقافى" في قوانينها. واقترحت اليونسكو وضع تعاريف الملكية الثقافية والتراث الثقافى في اتفاقياتها، ويعود تاريخ الأول منها إلى عام ١٩٥٤، بعد اعتماده في تشريعات البلدان التي صادقت عليها.

كان مفهوم فكرة "التراث" وأنماط إنتاج موضوع نقاش علمي في أبحاث متعددة التخصصات حول التراث التي تزايدت بشكل كبير في العقود الأخيرة بالتزامن مع النهضة التراثية. أشار العديد من العلماء إلى صعوبات فك تشابك القيم والمعاني المختلفة المرتبطة بأفكار التراث (روبرتس ٢٠١٤). تؤكد المنشورات الحديثة على أن التراث ليس شيئاً أو غرضاً، كما أنه ليس عملية الحفاظ غير الفعالة، وأن التقسيم بين التراث الثقافى الطبيعي والمادي وغير المادي الذي تروج له اتفاقيات اليونسكو أمر لا يمكن الدفاع عنه (سميث في بنديكس 2012: 291).



"الموسيقى والمجتمع في العالم العربي"

بالاعتماد على الأبحاث المعاصرة، أستخدم مفهوم "التراث" للإشارة إلى الإنتاج المنطقي والأدائي "لأشياء وأماكن وعادات" مختارة (هاريسون ٢٠١٣) ومرتبطة بالماضي المنسوب إليه القيمة والمعنى الجديان في الوقت الحاضر، مع رؤية نحو المستقبل (هاريسون ٢٠١٣؛ كيرشنبلا-جيمبلت ١٩٩٥ و ٢٠٠٤؛ ماكدونالد ٢٠١٣). فالماضي ليس إطاراً زمنياً محددًا، كما يشير عالمًا موسيقى الشعوب بيثيل وهيل، بل ينبغي النظر إليه على أنه مرجع "ذاتي، ومجزأ، وطبيّ، ومتعدد الأبعاد،" يقوم بدور المصدر الرمزي، "بيثيل وهيل 13: 2015) الذي يستخدمه منتجو التراث كدليل انتقائي، قائم على مثال الأصالة.

إنتاج التراث

يؤكد علماء التراث أنه ارتباط مبدع مع الماضي برؤية الحاضر. وهو يتضمن الاختيار والترجمة والنقل والتغيير" (هاريسون ٢٠١٣)، وتحويل العادات السابقة إلى شيء جديد مرئي و/أو مسموع في الوقت الحاضر. يشمل صنع التراث أيضًا التصنيف والإدراج والتسلسل وتجديد السياق والعرض وإضفاء الطابع التجاري:

يرتبط إنتاج التراث ارتباطاً وثيقاً بعلاقات السلطة. فيتم توجيهه وغالباً ما يخدم الأيديولوجيات والأنظمة السياسية التي تؤثر على كيفية تعريف التراث واستخدامه وتنظيمه. فالتراث والذاكرة والهوية كلها متصلة. على وجه الخصوص، تشير العديد من الدراسات إلى كيفية قيام الحكومات والمجتمعات ووسطائها بإحياء التراث، سواء كان ضارباً جذوره في الماضي أو مستحدث، في مشاريع بناء الدولة، وغالباً ما يتم استبعاد الأقليات من التمثيل الرسمي للدولة. في سياقات عدة، تحول التراث إلى سلعة وتطورت صناعة التراث بالتوازي أو بالترادف مع صناعة السياحة.

أنظمة الدولة والتراث الدولي

توصي عالمة الأنثروبولوجيا ريجينا بنديكس (٢٠١٢) بتحليل التراث من منظور "أنظمة تراث الدولة" وتلاقيها مع "أنظمة التراث الدولي" التي أنشأتها اليونسكو وإدارتها، من خلال اتفاقيات وتوصيات وبرامج متنوعة تهدف إلى حماية وتقييم التراث الثقلي والطبيعي وسجلات الذاكرة. وتعرف بنديكس نظام تراث الدولة بأنه "مجموعة من القواعد والقيم المنظمة للعلاقات بين حكومة الدولة



"الموسيقى والمجتمع في العالم العربي"

والمجتمع"، وتعرف نظام التراث الدولي بأنه "قد تحقق من خلال المفاوضات بين الجهات الفاعلة على المستوى الدولي" (بنديكس 12: 2012).

كان لنموذج التراث الثقافى غير المادي لليونسكو تأثير واسع النطاق ومتنوع. وكما يشير ريتشارد كورين عالم الأنثروبولوجيا، فإن المؤتمر وفر لغة مشتركة للحديث عن التقاليد الثقافية الحية (في ستيفانو ٢٠١٧: ٤٠).^٢ في الواقع، قد تم تكييف مفاهيم وروح ونص اتفاقية عام ٢٠٠٣ لتشريعات العديد من الدول، والتي تركز على تصميم وتنفيذ السياسات العامة، والتأثير على الحوار حول التراث على نطاق أوسع وتحويل العلاقة بين الممارسين والمجتمعات والدولة. وفي العديد من الحالات، استلزم ذلك إعادة فهم الممارسات المحلية وتحويلها وإعادة صياغتها، باعتبارها تراثاً وطنياً و/أو عالمياً، ولسع للاستهلاك السياحي (ديسزاري 409: 2002؛ هافشتاين 2014؛ كيرني 13: 2009).

وقد ساهم أخصائيو التراث المتنوعون (علماء الأنثروبولوجيا، علماء الآثار، علماء موسيقى الشعوب وغيرهم) في تطوير أنظمة التراث في إطار الحكومات المحلية والدولية واليونسكو. حيث يقومون بالتوثيق والبحوث، ويقومون بتكوين أدوات تنظيمية، ويلعبون دوراً مهماً في إنتاج التراث، ويتصورون وينفذون مبادرات الحماية للممارسات التعبيرية المحلية وإعداد طلبات التسجيل في السجلات الوطنية وقوائم اليونسكو.

تشكل مشاركة الباحثين في عمليات صنع التراث تحديات معرفية ومنهجية وأخلاقية. فالتطلعات المجتمعية، والبرامج السياسية المتنوعة، والمصالح الثقافية والسياحية لا تتوافق دائماً.

الملاحظات الختامية

من الضروري تعميق النقاش النقدي بين الأطراف المختلفة التي تلعب دوراً مهماً في عملية صنع التراث (الأفراد، والمجتمعات، والسلطات الوطنية والدولية، والحركات النقابية، والمتخصصون في التراث)، مع استضاهام أهدافها وتأثيرها. من ناحية أخرى، وكما تعلن ريجينا بنديكس، "يجب ألا

^٢ تم التصديق على مؤتمر اليونسكو عام ٢٠٠٣ من قبل ١٧٨ دولة



مؤتمر الموسيقى العربية الثامن والعشرون من ٢-٦ نوفمبر ٢٠١٩



"الموسيقى والمجتمع في العالم العربي"

يعطل التحليل النقدي الإمكانيات الإيجابية الكامنة في عملية صنع التراث، بل الأحرى به أن يدعم الانعكاسية في عمليات اتخاذ القرارات المتعلقة بالتراث" (بنديكس 19: 2012). وبالفعل، كما جادل العديد من علماء موسيقى الشعوب، يمكن للموروثات التراثية أن تساهم في إحياء وتثمين واستدامة العادات التراثية التي كانت مهملة (هاورد ٢٠١٢).

تؤثر الموروثات التراثية على الناس والأشياء والعادات الثقافية. وكما يشير فالديمار هافشتاين، فإن التراث هو شكل من أشكال التدخل وعملية تحويلية تغير علاقة الناس بعاداتهم، ونتيجة لذلك، علاقتهم مع بعضهم البعض (من خلال تلك العادات). بهذا المعنى، يمثل التراث كتقنية للعمل على الصعيد الاجتماعي. " (٢٠١٤: ٣٧). كما أن التراث مهم لأنه تلاحظ لوراجان سميث، فكيفية استخدامه لها عواقب على فهم الذات وفهم الآخر. سواء على مستوى الفرد والمجتمع والوطن والعالم ككل (سميث في بنديكس وآخرون، ٢٠١٢: ٣٩٣).

قائمة المراجع

Bendix, Regina, Aditya Eggert and Arnika Pesselman. 2012. "Introduction: Heritage Regimes and the State," In Bendix, Regina, Aditya Eggert and Arnika Pesselman (eds.), *Heritage Regimes and the State*, 11 - 20. Gottingen: The University of Gottingen.

DeCesari, Chiara. 2012. "Thinking Through Heritage Regimes," in Bendix, Regina, Aditya Eggert and Arnika Pesselman (eds.), *Heritage Regimes and the State*, 399- 413. Gottingen: The University of Gottingen.

Harrison, Rodney. 2013. *Heritage Critical Approaches*. Abington: Routledge.

Hill, Juniper e Bithell, Caroline. 2014. "An Introduction to Music Revival as Concept, Cultural Process and Medium of Change," in Bithell, Caroline and Hill, Juniper, *Oxford Handbook of Music Revival*. Oxford e Nova Iorque: Oxford University Press.

Howard, Keith. 2012. *Music as Intangible Cultural Practice: Policy, Ideology and Practice in the Preservation of East Asian Traditions*. London and New: Routledge.

Hafstein, Valdimar. 2014. "Protection as Dispossession: Government in the Vernacular," in Kapchan, Deborah (ed.) *Cultural Heritage in Transit: Intangible Rights as Human Rights*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press.

Howard, Keith. 2012. *Music as Intangible Cultural Practice: Policy, Ideology and Practice in*



مؤتمر الموسيقى العربية الثامن والعشرون من ٢-٦ نوفمبر ٢٠١٩

"الموسيقى والمجتمع في العالم العربي"



the Preservation of East Asian Traditions. London and New: Routledge.

Kearney, Amanda. 2009. "Intangible Cultural Heritage: Global Awareness and Local Interest" In Smith, Laurajane and Natsuko Akagawa (eds.), *Intangible Heritage*, 209-226. New York: Routledge.

Kirshenblatt-Gimblett. Barbara. 1995. "Theorizing heritage," *Ethnomusicology* 39 (3): 367 – 380.

Kirshenblatt-Gimblett. Barbara. 2004. "Intangible Heritage as Metacultural Production", *Museum International* 56 (1-2), 52-65.

MacDonald, Sharon. 2013. *Memorylands: Heritage and Identity in Europe Today*. Oxford and New York: Routledge.

Roberts, Les. 2012. "Talking about my Generation: Popular Music and the Culture of Heritage," *International Journal of Heritage Studies* 20 (3): 262 – 280.

Smith, Laurajane. 2012. "Discussion," In Bendix, Regina, Aditya Eggert and Arnika Pesselman (eds.), *Heritage Regimes and the State*, 11 - 20. Gottingen: The University of Gottingen.

Stefano, Michelle. 2017. "A Conversation with Richard Kurin," in Stefano, Michelle and Peter Davis (eds.), *The Routledge Companion to Intangible Cultural Heritage*: 40 - 45. New York and London: Routledge.